

غذاء الأرواح

غذاء الأرواح

خطبة جمعة بتاريخ:

(30 شوال 1426هـ)

(للشيخ العلامة المحدث: أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري - حفظه الله تعالى -)

=====

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِاللَّهِ مُسْلِمِينَ)) [إل عمران: 102]. ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْعَىٰ لَوْنٍ بِهِ وَالرِّجَامُ مِنْهُ الْإِنْسَانُ: 1)) ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصَٰرِحُ لَكُمْ أَنَّهُ يُغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ وَسْوَءُ مُقَدِّرٍ قَوْلًا عَظِيمًا)) [التكوير: 71-70].

أما بعد:

فإن لصديق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر المنهج حديثهما، وكل واحدة بجمعة، وكل بجمعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس! يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ((قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَاسْتَسْكَيْتُ وَوَضَعْتُ يَدَيَّ وَهَمَّيْتُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبَدَّلْتُ نُورًا وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)) [الانعام: 163-162].

في هذه التوبة العظيمة، أن أير نبيه أن يجعل حياته كلها لله، ومكدا مهاته لله، فلم يبقَ من الإنسان شيء إلا وهو لله سبحانه وتعالى، بها في ذلك روحه ولسانه ورياحه ورجله وشعره وسنمه وبعصره وجعير حواسه، كلها لله، ويجب أن تكون مسخرة كلها في طاعة الله.

وهذه الجوارح كلها يحافظ عليها من العطب والالتف، ويحافظ على سلامتهما وصحتهما. يحافظ على أمر عضو فيهما، الذي بجائته تحيا، ويهوت، تتلف، وهو القلب.

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إلا وإن في الجسد هضفة إذا صاحت صاح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب)**، فإبان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جراحة في للإنسان واحدة مدار الجوارح، وكان الواجب على كل إنسان حريص على نفسه أن يهتم بهذا العضو الذي عليه مدار الأعضاء، وهو القلب، أي: هذه الهضفة، ويحافظ على صحتها، ويغذيها حق غذائها.

أيما الناس! إن تنافس الناس في الدنيا له تنافس كل ذلك من أجل تغطية الجسد، وراحة الجسار، وسلامة الجسار، وقوة الجسار، ولكن قليل من يهتم بتغذية الروح، بتغذية القلب تغذية حسنة، وإن فساد الهجومات من شركيات وبدعاً وخرافات، وتقليد للكفار، وشراً وروار، كل ذلك حاصل بين الناس سببها: سوء التغذية، لكن ليست على الانحسار وإنما على الترويج.

فسبب ما يحصل في العباد والبلاد من الفتن والفساد كل ذلك صادر عن سوء التغذية، وانظر توارخ أهل البدع وأهل الشركيات ترى أنه حصل لهم أمر ما تغذوا تغذية طيبة، ما اعتنوا بأنفسهم، ولا قبالوا الغذاء الطيب، ولا استفادوا، وإنما طهست بصانهم، أقبلوا على ما لا يفقههم.

ونبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول: **(وَلَا تُحْزِبْ يَوْمَ يَعْتَبُونَ * يَوْمَ لَا يُنْفَعُ هَلٌّ وَلَا بَلُونٌ * إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)** [الشعراء:89-87]. أي: كان سليماً من تغذية الباطل، سليماً من الشركيات، كان سليماً من خشية غير الله، سليماً من الرمية والرغبة في غير الله، سليماً من الهجة الشركية لغير الله، سليماً من التعلق والثقة بغير الله، من سلع قلبه لله سبحانه وتعالى وسألت عبوديته لله سبحانه وتعالى فهذا هو القلب السليم، أما قلب خاطئ، حب الله، وشرك مع حب الله غيره، أو خوف الله، وشرك مع خوف الله غيره، أو الرغبة في الله، وشرك مع الرغبة مع الله في غيره، أو التوكل على الله، وشرك في التوكل غير الله، هذا قلب ليس بسليم، هذا قلب مريض، وقد يتحمر ويهوت، ولا ينتفع يوم القيامة، ولا يسلم صاحبه من الذي، إلا القلب السليم الذي عنده تغذية صحيحة ناعمة، وإمر تد ذلك السقم، ذلك السقم الذي أي قلب يهجم عليه يصير قد فتن.

أيما الناس! إن لعظم غذاء القلوب والبرواج هو كلام الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن تجد غذاء لربك من طعموات ومشروبات، لكن هذا الغذاء هو لعظم غذاء، كما إرثه الله سبحانه وتعالى في كتابه: **(وَكَيْفَ لَوْجِنَا إِلَهُكَ يُوحَا مِنْ أَوْلَانَا مَا كُنْتَ تَخْفَى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَكَيْفَ جَعَلْنَا لَوُجَا نَحْوِي بِهِ مِنْ نَشَاءٍ وَمِنْ عِبَادِنَا وَكَيْفَ تَلَفْنَا لِعِبَادِنَا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** [الشورى:52]. قال أهل العلم: سمى الله قرآناً رزقاً، لأن عليه تتوقف الحياة الحقيقية، ومعنى ذلك: إن من لم يعتن بالقرآن لا رزق له، من لم يعتن بالقرآن علماً وتدبيراً وتفصيلاً وتلاوة فانه، وبين ذلك حديث أبي موسى عند الأمام البخاري رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه، كمثل الحي والميت)**.

الذي لا يعتني بالقرآن، وما عنده روح حقيقية، ولا له حياة حقيقية، حياته حياة يشترك فيما مع الانعام، فأى حياة يتوفر فيها الطعام والشراب والعناية بالانحسار ولا يتوفر فيها العناية بالروح فإن هذه الحياة بعينية، **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيُنَازِعُونَ كَمَا نَازَعْنَا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَنْعَامِ وَاللَّاتِ وَالْمَوْتَى لَمَرًّا)** [محمد:12].

فقد إبان الله سبحانه وتعالى أن الكفار يعتنون بالاكل والشرب كما تعتني الانعام وكما تأكل الانعام، وإن ذلك لا يفرق بينهم وبين الانعام: **(أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا)** [الفرقان:44].

فيا أيما المسلم! اعلم أن هذا الغذاء لا يستغني عنه قلب أبداً، عن تلاوته، وعن تدبره، وعن العمل به، وأي قلب لم يحط القسط من هذا الغذاء العظيم فإنه يستحو عليه الأمراض والانسقام والشمومات والشبهات وسائر الفتن.

فإنه سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَنِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)** [يونس:57]. هو شفاء، وهو ذلك أيضاً غذاء نافع، غذاء الهداية: **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَجْعَلُ لِيَلِي فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاحَاتِ أَنْ لَهُمْ جِزَاءٌ كَثِيرًا)** [الاسراء:9].

ولإن الله سبحانه وتعالى إن هذا الغذاء من أسباب النشوة والرغبة لله سبحانه وتعالى: **(فَلْ أَهْلُوا بِهِمْ أَوْ لَا تُوْهِدُوا إِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجِرُونَ لِلذَّكَانِ سَجْدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَجِزُونَ لِلذَّكَانِ يَكُونُونَ يُرِيدَهُمْ خُشوعًا)** [الاسراء:109-107].

أي قلب انسد، وأي قلب أقبس، وأي قلب انكس، هو لا يستفيد من هذا الغذاء، ولا ينتفع به! وقد إبان الله سبحانه أنه، أو تزل على جبل لتصعد: **(وَأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشَعًا مُتَضَعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ نَصْرَهَا لِلنَّاسِ أَعْلَمُ بِتَفْكَرُونَ)** [الحشر:21].

ويقول الله عز وجل في كتابه الكريم: **(مَنْ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ مَنْ يُتَقَدَّرُ بِهِ الْأَنْعَامُ وَإِنَّهَا تَمَثَّقُ بِرَحْمَتِ اللَّهِ وَإِنْ يَسْمَعْهَا مِنَ اللَّهِ يُخْضِعُهَا لَهُ وَمَنْ يَسْمَعْهَا مِنَ اللَّهِ يُخْضِعُهَا لَهُ وَمَنْ يَسْمَعْهَا مِنَ اللَّهِ يُخْضِعُهَا لَهُ وَمَنْ يَسْمَعْهَا مِنَ اللَّهِ يُخْضِعُهَا لَهُ)** [البقرة:74]. وهذا تعهد شديد لبني إسرائيل لها لم ينفذ فيهم هذا الغذاء وهذا العلاج اللطيف، فإن الله عاقبهم، وإن الله محدهم بهذا التعهد.

علاج قلبك بالايهوان- علاج قلبك بذكر الله- غذي هذا القلب بطلعة الله سبحانه وتعالى وعلو انه احب بالتغذية من جسمك الذي من اجله تقبح.

فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم هيباً نوع هذا الغذاء للقلوب: ((اللَّهُ تَزَلُّ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ كِتَابًا وَمَتَابًا يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ عَذَابٌ يُخَسِّنُ رَبَّهُمْ ثُمَّ لِمَنْ ثَابَرُوا جُودًا جُودُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ هُمْ أَزْكَرُ لِلَّهِ)) [التور:23]. هذا من اسباب اللين- هذا يبعد عنك القسوة- هذا يبعد لقسوة القلوب- وحتى ايضاً للقسوة الجسمية- حل هذا على ان القلب اذا لان لانت الجوارح- وان القلب اذا قسا قست الجوارح.

((قُلْ مَوْ لَدَيْهِمْ أَهْلُوا مَدِيْنَةً وَشِقَاتُ الْوَدَّيْنِ لَا يُؤْمِنُوْنَ فِيْ اٰثِمِهِمْ وَقَدْ رَمُوْهُمُ عَلٰى اَوْفَاتٍ يُبَادُوْنَ مِنْ وَجْهِ بَرِيْذٍ)) [اصحلت:44].

لما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم زود بهذا الغذاء العظير- وبهذا الزاد العظير- ((وَاللّٰهُ تَنْزِيْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ * تَنْزِيْلٌ مِنْ رَّبِّ السَّمٰوٰتِ الْاٰثِنِيْنَ * عَلٰى قَلْبِكَ يُكُوْنُ مِنَ الْاٰذٰنِيْنَ)) [الشعراء:194-192].

ما لك قدرة لهما الهدي الى الله على ان تغير حقوة حتى تتزود بهذا الزاد- ولا فها عندك زاد- وكان كلها قال المشركون شيعة زود الله سبحانه وتعالى بها يحض تلك الشيعة: ((وَلَا يَأْتُوْنَكَ بِكُلِّ اٰلٍ حَبِيْلًاۙ يٰۤاٰحَقُّ وَكٰسِبٌۙ تَسْبِيْۙ)) [الفرقان:33].

ويقول الله سبحانه وتعالى عن نبيه الكريم حين كان يورد عليه المشركون او يعتدي عليهم المشركون يسايه بالقران- ويغديه بتلك التغذية العظيمة: ((فَاعْتَبُوا وَاصْحٰۤخُوا حٰثِيْ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ يَلْمُوْنَ اللّٰهَ بِاَنَّهُۥ يَدْعُوْهُ اِلٰٓهًا مِمَّا عٰلَمُۙ كُلُّ شَيْۤءٍ قَدِيْرٌۙ)) [البقرة:109].

ولذا تنقصوم نزل القران هذياً له وهيباً بيان عزته- وان العزة له ولانصامه ولاتباعه: ((فَرِحُوْهُ وَاَسْؤِوْهُ وَاَلْمُؤْوِيْنَ)) [المنفقون:8]. ولذا قالوا: قللمه ربه- نزل القران هيباً ما عند الله سبحانه وتعالى له في الدنيا والاخرة: ((مَا وَجَّعَكَ رَبُّكَ وَآٰءَاۤءًاۙ وَلَا دَرَجَةً خَيْرٌۙ لَّكَ مِنْ اٰنٰوٰى * وَسُوْفُ يُعْطِيْكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰۙ)) [البقرة:3-5].

غذاء لا غنى لحد لقب عن هذا الغذاء- ولا قلب استغنى عن الغذاء الروحي بالكتاب والسنة فانه قلب يتدهور- يمرض- وقد يموت- قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((انه ليعان على قلبي فاذا ذكر الله فيحضب ما يبأ))- ولنبي صلى الله عليه وسلم كان يتلو القران- وزوجه ربه بهذا- ولهم بهذا: ((يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ يَلْمُوْنَ اللّٰهَ بِاَنَّهُۥ يَدْعُوْهُ اِلٰٓهًا مِمَّا عٰلَمُۙ كُلُّ شَيْۤءٍ قَدِيْرٌۙ)) [البقرة:3-5].

زاد عظيم لمن يحول حقوة الى الله سبحانه وتعالى هذا القران- زاد عظيم لمن يستقيم على كتاب الله هذا القران- زاد الحياة- ومن ليس عنده عناية بذكر الله ما عنده زاد في الحياة.

وهكذا من الزاد قوام اللين- هو لظفر زاد ولظفر تغذية للزواج- ورسول الله صلى الله عليه وسلم ازل الله عليه- ((وَيٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ قَالُوْا هٰذَا عَلٰى غَسَبِ اَنْۢ يَّعْتَكُ رَبُّكَ وَقَالُوْا هٰذَا عَلٰى اٰسْرٰۙ:79)). وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين بالله سبحانه وتعالى وبالصلاة: ((وَأَسْتَعِيْنُوْا بِالصَّلٰةِ وَالصَّلٰةِ وَاَمَّا كَثِيْرَةٌ اِلَّا عَلَى الْكٰفِرِيْنَ)) [البقرة:45]. فالصلاة فيما لعانة- سواء صلاة الفرائض او صلاة النوافل- فيما لعانة على صحة جسمك- وفيما لعانة على شفاه لمرضاك- وفيما لعانة على دفع لعدائك- وفيما لعانة على نصرتك على طاعة الله- انك تنتصر وتقوم بطاعتك- وان لم يكن لك قسط من الصلاة من فرض فقلك ما عندك ما تنصر به.

ويوم بدر النبي صلى الله عليه وسلم يتوقع هجوم الكافرين وحطاف المشركين وخطرة الهنطرسين- بما همم من العدة والعدد- ولكن بات للزود- وبات يستفيد من ذلك الغذاء الروحي- وبات يدعو الله سبحانه وتعالى ويذكره- حتى يسقط بداهم وهو يقول: ((للهم ان تملك هذه العصاية من اهل الاسلام لا تعبد في الدرض).. الحديث- ولو بكر يقول: (كفك وانشدتك ربك- فان الله ينزل لك ما وعدك)).

وقبل الهجوم هو الكافرين يعطي اصحابه تغذية عظيمة- ويقول لهم: (هوبوا الى جنة عرضها السموات والارض- فيقول عبر بن الجاهم رضي الله عنه: يا رسول الله! عرضها السموات والارض؟ قال: نعم- قال: بئذ قال: ما حولك على بئذ قال: والله الا رجاء ان اكون من اهلها). ثم اتى الثورات التي احدثها- وقبل على قتال الكافرية- لانه عنده تغذية عظيمة في نفسه بقلبه بروحه- انه يريد الجنة- هل قلبه بالايهوان- وحبب الله- وبنصرة حين الله- فلهذا استبطان ان يأكل ثورات.

هذه التغذية الروحية التي تتغذى الي الطاعة وتبعدك عن المعصية- اما تغذية النجسار بغير عناية بالقلوب فلا تزيد صاحبها الا خيالا- ولا تتركز عليه الا وباللا.

أي والله، لم يأت عندك أن تغذي يوحنا بطبخة الله سبحانه وتعالى، يذكر الله، بالدعاء، بغير الليل، فرسول الله صلى الله عليه وسلم إما كان يحول بين العبد الشيء الثقيل أمهه الله لذلك: ((لَمْ أَكُنْ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)) [الفتح:124].

كان يقوم قريماً طويلاً، وبقراً قراءة طويلة، حتى صلى خلفه ابن مسعود: قال: افتتح البقرة، فقلت: يركع عنهما عند الهانئة عند... إلى أن قال عنهما: ثم افتتح النساء، ثم افتتح آل عمران، وهو يقرأ القرآن، حتى موهبت بأمر سوء، أو موهبت أو اجلس وأدع، وهكذا يقول لعائشة: (يا عائشة! ذيني لتعبد أربي تقول: أحب قريك وأحب يا يسرك). فيقول ويكرر الهراء، لأن التحول تقيل، وهو بحاجة أن يستعين بالاصلاة على هذا التحول الثقيل، وطبخة الله سبحانه وتعالى، فينهدج حتى يأتي بالمال يؤذنه الصلاة الحجر.

وهكذا يذكر ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل، ثم يستاك، ثم يقرأ شيئاً من القرآن، ذكره ابن عباس، ثم يقوم رسول صلى الله عليه وسلم، ويقوم ابن عباس إلى جاره، وهو يلاحظ في ذلك صلاته، ويلاحظ قيامه، فيقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تنقطر قدومه.

لا تظن أيها الهوسر! أن هذا هو التعب، بل هذا هو النشاط، بل هذه هي الاعتادة، بل هذا عين القوة.

وهي رجل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول للنصايه حين تسابقوا وتنافسوا في النبوال من أجل الحج والعمرة والطبخة، أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: (يا رسول الله! سبق أهل الذئور بالدرجات العلى والتعير البقر، يصاون كلها تحلب، ويصومون كلها تصوم، وهم فضل من أموال -يجنون ويعتوبون ويتصدقون- قال: إلا أذكرك على ما تدركون به، من سيقرك، وتسبقون به، من يدركك؟ قالوا: بل، قال: تسجدون وتجدون وتكبرون دير كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، فدل هذا أنه اعطاهم غذاء يقوهم وينشطهم، وخير لهم من النبوال.

وفي حديث أبي الدرداء: (لا ألبنكم بخير لوالكمر، وأركماها عند وليكم، وخير لكم من اتفاق الذهب والورق، وخير من أن تلقوا عدوكم وتضربوا لعناقهم ويضربوا لعناقكم؟ قالوا: بل، يا رسول الله! قال: ذكر الله).

ولما جاء الانتصار يطليون تغذية للجسالم، جاعوا بجاعتهم، تعبوا من نزع الهاء، فقالوا: أو خببرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيسأل الله أن يفرج لكم أنهاراً، فتأوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بجاعتهم، فلما رآهم قال: (رجداً وأمهلاً، يا جاء بكر إلا حاجت، لا تسألوني اليوم شيئاً إلا أعطيتهموه، ولا أسأل ربي شيئاً إلا أعطاني). هذا وعد كاسم يادن الله عز وجل، وهو ذلك يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الدنيا تريدون، زاد الدنيا، غذاء الدنيا، ياء ينزل، وراضى تسقى، ثم تثبت، ثم تثر، والهوشى ترعى، ويحصل من التغذية الجسوية ما الله به علم ببركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أرادوا الغذاء الروحي، أرادوا الغذاء الدائم، قالوا: (يا رسول الله! استغفر لنا، قال: اللهم لغفر الانتصار، ولبناء الانتصار، ولبنائ أبناء الانتصار). منياً لهم إقبالهم على ذلك الغذاء.

وإن مسعود رضي الله عنه ير النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سورة النساء يسبحها سحلاً يصلي بها ويقومها، يفرغها في الصلاة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (سل تعط، سل تعط، سل تعط). ثلاث مرات يكرر النبي صلى الله عليه وسلم هذا أنه إن سأل أعطى، فلم يسأل زاداً في الدنيا، ولا غذاء في الدنيا، لكن أقبل على زاد الآخرة، وعلى غذاء الآخرة، قال: (لهم إني أسألك إيماناً لا ينقطع، ونعيماً لا ينفد، ورافقة نبيك محمد في أعلى درجات الخلد).

أعطى غذاءه هو الغذاء الروحي، الغذاء الجسمي يتركه ويتقطع في وسط الطريق، ولا يصحك إلا إلى قبر، ولا يصحك في ذل، ولا يصحك ولا ينفعك في دنيا ولا آخرة: ((وَمَا لَهُمْ أَكْفَرُ وَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا لَهُمْ وَلَا يَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَرْجِعُوا كَمَا رَجَعُوا فِي الْأَوَّلِ وَاللَّهُ لَئِنْ رَجَعَهُمْ إِلَيْكُمْ وَرَجَعْتُمْ إِلَيْكُمْ لَيَمْلَأَنَّ قُلُوبَهُمْ هَمًّا وَمُحَنًّا وَبُؤْسًا وَمُؤَسَّبًا يَتَوَوَّنُونَ وَلَا يَذَكَّرُونَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ)) [سبأ:37]. (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له). (ينبع الهيت ثلاث: أمه، وواله، وعمله، فيرجع لثان ويقيم واحد). يرجع الغذاء الدنيوي ويقيم الغذاء الروحي الذي يصحك إلى قبرك.

نعم، (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصيبوا على ما فطرتو تدرون)) [الحجرات:6] * ((وتعلموا أن فيكم رسول الله أو يبعثكم في كثير من الأمور لعنتم ولكن الله يحب الظالمين الذين آمنوا في قلوبهم)) [الحجرات:7]. (زينة القلوب هو القرآن، زينة القرآن هو العمل الصالح، والذي ما عنده قران، ولا يعتني به، فإن قلبه غير زين، قلبه شوم، زينته القلوب). (وزينته في قلوبكم وكره الكفر والفسوق والجحيمان أولئك هم المشركون)) [الحجرات:7].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، وسبحانه، وسبحانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

وفي صحيح البخاري من حديث أو سامة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية من الآيات: **(إلا إله إلا الله)** ما نزل من الفتن. **وهذا نزل من الخزان.** من يوفق صواحب الحجرات، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة). وهذا الحديث العظيم فيه بيان على أن النبي صلى الله عليه وسلم إبان أن خزان نزلت، ومع ذلك حرص على نساءه وصواحب حجراته، وغير ذلك من نساء المسلمين، أن يأخذن الزاد الحقيقي الروحي الدافع للفتن.

الذي ما عنده زاد من الكتاب والسنة ما أسرعه إلى الفتن، الذي ما عنده زاد من العلم الشرعي ما أشد فنتته وتقلبه: **(تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصى عوداً عوداً، فلو قلب أشربها نكتة فيه نكتة سوداء، ولو قلب أكرها نكتة فيه نكتة بيضاء حتى تصير القلوب على قلوبين: أبيض كالصفاة، لا تضره فتنة ما دامت السهوات والنرض، والآخر أسود يريد أن كالقوز رديحاً، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من موم).**

ولا يستطيع القلب أن يدفع الشبهات والشهوات إلا أن يكون عنده تغطية، حتى يغوى على دفع ذلك، تغطية روحية عالية سنية قرآنية، **(والأ فمو ضعيف: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير).** مهما كان خير المؤمن فإن النساء القوي في دينه.. في تهسكه.. في ثباته، هذا خير. وهذا لعظم.

التغطية الروحية عباد الله بهجانسة الصالحين، وبالتعبد إرب العالمين، تقول عائشة رضي الله عنها: **(أول ما جئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم به من الوحي الرؤيا الصالحة، كان لا يروى الرؤيا إلا جاءت كفاق الصبح، وجب إليه الذخوة، فكان يخلو بغار حراء يتحدث).** والتحدث قالت عائشة: **(هو التعبد الرباني ذوات العبد، فأول ما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهيام الله به، أن جيب إليه أحياه هذه الهوسلية حب إليه قيام الليل، وحببت إليه الطاعة، فجعل يجد الله سبحانه وتعالى.**

الطاعة تؤمله لاجل الانتقال من الهوسليات، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **(إن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفاعة يخر تحت العرش ساجدًا، ثم يفتح له من صاحبه ما شاء الله، ثم يقال له: سل تعطى، واشفع تشفع).** ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لبلال إذا حزه أمر ومعه مر أو غر، يقول إلى طاعة الله سبحانه، من أجل أن يستعين على تلك الهور بطاعة الله: **(إرحنا بما يا بلال).** ويقول عليه الصلاة والسلام: **(وجعنا قرّة عيني في الصلاة).**

فلطاعة تؤمله لاجل الهوسليات، ودفع الفتن والمشكلات، الطاعة لله سبحانه وتعالى.

ونظر إلى أذكار النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى محافظته على الذكر قبل النوم، وإرشاد الأمة إلى ذلك: **(إذا أتى الإنسان يضحى، وسبح الله ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين أو أربعًا وثلاثين، يصير نسيحًا).**

وهذا الذي أرشد إليه حافظه رضي الله عنه! ما جاءت إليه تشكو إليه أثر التعب والإرهاق من الرجب، فذاعا على شيء تعينما تغطية روحية تقوى مقام التغذية الجسمية، وتقوى أكثر من ذلك: **(إلا لذلك على ما هو خير لك من خاخر؟ قالت: بلى، قال: تسجين ثلاثًا وثلاثين وتحصين ثلاثًا وثلاثين وتكرين أربعًا وثلاثين حين تأخذين وضعتك، فذلك خير لك من خاخر).**

هذا أمر حرج، أن من ذكر الله بذلك الذكر أنه يصير نشيطًا، ويقوى نشيطًا، ويذكر أشيطًا، وغيره من أن يأكل قبل نومه لحو كياش، وغيره من أن يخذي نفسه وجسده قبل نومه بالعسل وسائل الهطووات، لأن تلك التغذية الروحية لا تقوى مقامها التغذية الجسمية أبدًا، فأحرص على تغذية روحك، فإن فيها تغذية الجسم نهائيًا:

لما أحديث من ذكراك تمنعنا عن الشراب وتلميما من الزاد

ابن القيم يذكر هذا البيت عند قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(إني لست كهيئتكم، إني أبيت أطعم وأسقى).** ما يبيت يأكل اللطعمة والانشربة، ولكن يبيت يغذي بذكر الله، وهذه التغذية بذكر الله تعينه وتنشطه، حتى أنه يواصل في الطاعة وفي العبادة ولا يشعر به بتقلها، فكأنها كأن الناس أطعمه الله سبحانه وتعالى كأن أنشط، أنشط في قلبه، وأنشط في ذكرك، وأنشط كذلك في القيام بعبادته، وأنشط كذلك أيضاً في بيان أحوال أهل الباطل.

والله ما جاءت الفتن إلى المسلمين إلا من سوء التغذية الروحية، فإنهم يغذونهم بحب الدنيا ويغذونهم بالطعمة والانشربة، ويغذونهم بالطعام الدنيوية واللموت ورايعا، وهذا في الحقيقية أتعاب وإماقات: **((فلا تُعْجِلْ أَوْلَاهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ أَيُّهَا رَبُّ اللَّهِ يُعْجِلُهُمْ بِمَا فِي آخِرَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَتَمَتَّقْ أَنفُسَهُمْ وَمَعَهُ كَافِرُونَ)) (التوبة:55)** ((بَايَعْنَا أَدْرِينَ أَلَمْ نَلَا أَلَمْ نَلَا نَمُكِّرْ أَوْلَادَهُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَنَحْمِلُ ذَلِكَ مُوَالَيْتَهُمْ هُمُ الْخَاسِرُونَ)) (الأنفال:9).

ومن أهله الشغل بغيره الجسدي عن غذائه الروحي بذكر الله سبحانه فإنه خاسر، ولو جمع من الغذاء هاء الدنيا، فإنه خاسر، ولا يمكن أن يتغذى قلبه ولا يستفيد قلبه من ذلك، إلا أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى.

((إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ * إِذْ أَنْشَأَهُ نُوحًا * وَكَأَنَّهُ لَخَشِيعٌ مُسَوِّدٌ * إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)) [البقره:19-23].. الآيات، فأين الله انه شأن الانسان الجزء والملع، إلا من كان على صلاح فإنه يستفيد حتى من... ويصبيه التغذية الراجعة، بدلاً من ان يكون تقنية جسدية فقط.

إلا يا ايها الناس! القرآن القرآن، والسنة السنة، فلم يعتن بقوله بالقران والسنة، وطلب العلم، وجالس الصالحين، فإنه يصير قلبه متعباً ومرهقاً سقيماً.

فالذي صلى الله عليه وسلم يقول: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتمهم الملائكة، وذكرهم الله،) يتيمم الغداء الوجيه من كل جانب.

وفي حديث البراء عند الصحيحين: ان رباً كان يقوم الليل بقرا سورة الكهف، فزالت سحابة حتى تفتته، وكانت تدنو، وكلما دنت نفر الفرس، فاما اصبح ان النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، قال: (تلك السكينة، نزلت للقران). فرسه مربوطة وتقر من ذلك، من اجل ان الملائكة ينزلون للاستفادة من كلام الله، ومكدا لهذا الغداء العظيم، ايا الغداء الدنيوي والغذاء الهالي: (ان الله لا ينظر الى اجسادكم، ولكن ينظر الى قلوبكم واهالكرك).

وبالله التوفيق.